وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للبنات
قسم اللغة العربية

عنوان المحاضرة

(أدب عصر ما قبل الاسلام)

اسم التدريسي

م. د. رغده عامر ياسين
الايميل الجامعي:- raghda.yaseen@tu.edu.iq

١٤٤٦ هـ

٢٠٢٥م

التدوين

مرَّ بنا أن العرب لم يدونوا شعرهم في الجاهلية ، وأن ما يذكر من أخبار عن كتابة بعض شعرائهم المقطوعات لهم ، إن صح ، فإنه لا يدل على أنهم فكروا فعلا في تدوين أشعارهم ، إنما هي قطع تكتب على رحل أو على حجر أو جلد لإنباء القبيلة أو بعض أفرادها بحادث . وقد نفينا أن يكونوا علقوا المعلقات في الكعبة وكذلك رفضنا رواية حماد عن تدين النعمان بن المنذر لأشعار العرب وما مدح به هو وأهل بيته . ومن الأدلة على ذلك أننا لا نجد راوياً ثقة يزعم أنه نقل عن قراطيس كانت مكتوبة في الجاهلية ، كما أننا لا نجد راوياً ثقة يزعم أن شاعراً في الجاهلية التي قصيدته من صحيفة مدونة ، إنما كانوا ينشدون شعرهم إنشاداً ، ومن كان منهم يعد قصيدته في حول أو أقل من حول كان يعدها في نفسه، ويرددها في ذاكرته ثم ينشدها، ويحملها الناس عنه ، ومن ثم قال الجاحظ : « وكل شيء العرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام .. فما هو إلا أن يصرف (العربي) وهمه إلى جملة المذهب وإلى العمود الذى إليه يقصد ، فتأتيه المعانى أرسالا (أفواجا) وتنثال علي الألفاظ انثيالا ، ثم لا يقيده على نفسه وظل هذا شأن العرب في صدر الإسلام ، فهم يتناشدون الشعر ولا يقيلونه الا قليلا وفى ظروف خاصة ، حتى مصرت الأمصار ، وراجعت العرب الأشعار ، واخذت فكرة نفيد بعض التدوين تسلك طريقها في تسجيل غزوات الرسول وأحاديثه وفى الأخبار التاريخية ، فدون زياد بن أبيه كتاباً في المثالب ، ودون عروة ابن الزبير غزوات النبي عليه السلام وحروبه ، ودون معاوية أخبار عبيد بن شرية أو بعبارة أدق أمر غلمانه بتدوينها ، وأخذ بعض الصحابة والتابعين يدون أحاديث الرسول عليه السلام . وقد يكون في تدوين الأحاديث ما ينير لنا الطريق في تدوين الشعر ، فإن كثيرا من الصحابة والتابعين كان ينكر تدوينها ، ولم تدوّن تدوينا عاما الاعلى رأس المائة، وكذلك نستطيع أن نقول إنه على الرغم من اهتمام القبائل بشعرها الجاهلي وشعر امها الذين يعدون مناط شرفها وفخارها لما يسجلون من مناقبها وأمجادها ومثالب خصومها فإنها لم تعمد إلى تدوين هذا الشعر إلا في حقبة متأخرة من عصر بني أمية .

ويظهر أنهم لم يكونوا يدونون حينئذ أشعار شعرائهم وحدها، بل كانوا يدونون معها ، ولعل أقدم إشارة إلى هذه المدونات ما أسلفنا من رواية أصحاب الأخبار عن حماد في أول تعلقه بالشعر من أنه نقب ليلة على رجل ، فأخذ ما عنده وكان ذا أخذه جزء من شعر الأنصار ! حماد أن الوليد بن يزيد أرسل في طلبه ، فقال في نفسه : : لا يسألنى إلا عن طرفيه : قريش وثقيف ، فنظرت في كتابى قريش وثقيف ، ويروى عن ثعلب أن الوليد بن يزيد جمع ديوان العرب وأشعارها وأنسابها ولغاتها ، وأنه طلب لذلك من حماد وجاد الكوفيين ما عندهما من هذا الديوان ، ثم رد إليهما ما أخذه منهما.

وإن صحت هذه الأخبار كانت دليلا على أنه أخذت تظهر مع أوائل القرن الثاني مدونات تاريخية للقبائل لعلها هي التي أعدت فيما بعد لتدوين الرواة أشعار كل منها على حدة بنفس الصورة التي نعرفها لديوان هذيل . ونفى بعد عصر الوليد بن يزيد فيلقانا أبو عمرو بن العلاء ، وكان يعتمد على اروابة، ولكنه كان يقيد إلى جانبها كثيراً من الأشعار والأخبار حتى قالوا إن كتبه ملات بينا له إلى قريب من السقف، ثم تقرأ (تنسك) فأحرقها كلها يقول الجاحظ : (فلما رجع بعد إلى علمه الأول لم يكن كانت عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية. وكان حمار عنده إلا ما حفظه بقلبه . على ما يظهر ينى بالرواية أكثر من عنايته بالكتابة ، بل لعله لم يكن يعنى بالكتابة ، إنما كتب عنه تلاميده ، يقول صاحب الفهرست : لم ير لحماد كتاب : وإنما روى عن . ويروى المفضل الضبي كتب صنفها : فيها أشعا الناس وصنفت الكتب بعده وأخبار ومن المؤكد أنه لم يكتب مفضلياته ، وإنما أنشدها تلاميذه فحملوها عنه .

ولعلنا لانخطىء إذا قلنا إن الرواة الأولين لم يدونوا ما رووه لطلاب هذا شأن رواة الشعر وحدهم ، بل كان شأن رواة التاريخ الجاهلي جميعهم مثل محمد بن السائب الكلبي فإن ابنه هشاماً هو الذي حمل مادة أخباره ودونها في كتبه . ونفس الخليل بن أحمد لم يخلف كتاباً في النحو ، بل أملى إملاءات جمع منها سيبوبه كتابه المشهور . وكانوا يتأثرون في ذلك برواة الحديث ، وربما جمع كانت الحاجة عندهم أمس ، لأن الشعر يحتاج إلى تلقين حتى لا يلحن فيه من ينشده ، ولذلك كانوا ينبذون في أواخر القرن الثانى وأوائل الثالث من يلحن فيه بأنه صحفي يأخذ عن الصحف ، ولا يأخذ شفاها عن مشيخة

العلماء باللغة والشعر . ومن ثم ضعفوا من يروى عن المدونات ولم يقبلوا روايته إلا أن يكون قد أخذها عن شيخ، ولذلك ضعف ابن سلام رواية من يتداولون الشعر القديم من كتاب إلى كتاب يقول : (ليس لأحد أن يقبل من صحيفة ولا يروى عن صحفي) . والرواة التالون لهؤلاء الرواة المتقدمين هم الذين يرجع الفضل إليهم في تدوين الشعر الجاهلي تدويناً منهجيا قائماً على التوثيق والتجريح ، وعلى رأسهم الأصمعي . الشعر الجاهلي في دواوين ومجموعات صحيحة . وكان هؤلاء الرواة المدونون لا يكتفون بالسماع من جلة الرواة السابقين . فكانوا يرحلون إلى الصحراء العربية ليتوثقوا مما يروونه على نحو ما هو معروف عن الأصمعي